التقديم والتأخير في تفسير معارج التفكر ودقائق التدبر للشيخ الميداني

م م. إيمان جاسم محمد علي

كلية العلوم الاسلامية جامعة بغداد

Presentation and Delay in Explanation of Maarij and Daqheq Al-Tadbeer by Sheikh Al-Maidani

Iman Jassim Muhammad Ali

الملخص :

إنَّ أُسْلُوبَ التَّقْدِيم والتَّأْخِير من أبرز موضوعات النحو العربي ، فهو سرٌّ من أسرارِ التَّعبِير القرآني ، الذي يمنحُ الكَلَام جمالاً وتأثيراً ، ويُعَدُّ سبيلاً إلى نقل المعاني في ألفاظها إلى المخاطبين كما هي مرتبة في ذهن المتكلم حسب أهميتها عنده ، فلو بقيت الكلمة في مكانها الأصلي ولم يَطُلها تقديمٌ أو تأخيرٌ لَمَا أدَّت تلك الأغراض ، فتبادُل المواقع بين الكلمات من قِبَل المبدع يُولِّدُ صورةً فنيةً واحدةً مكتملةً متكاملةً.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأولين محمد الأمين ، وعلى اله وصحبه أجمعين : أَمَّا بعدُ : فإنَّ التَّقْدِيم والتَّأْخِير ظاهرة بارزة في لغتنا العربية ، بل هي سرٌّ من أسرار هذه اللغة العظيمة ، وقد بلغَ القُرآن الكريم الذروةَ في وضع الألفاظ في المقام الذي تستحقه في الجملة بتناسق منتظم لفظاً ومعنى مراعياً سياقَ الكَلَام والاتساق العام في التَّعبِير ، فالتَّعبِير القُرآني وُضِعت فيه الألفاظ مراعاةً لمواضع ورود الألفاظ فيه . وكان ذلك من أسَالِيب العرب في كلامهم . فالعرب يقدمون ألفاظًا على أخرى ، لسرٍّ جمالي مميز ، وليكون أكثر تأثيراً في النفوس ببلاغة تناسق اللفظ مع المعنى . انطلاقًا من هذه الخاصية للغة العربية ، كتبتُ بحثي الموسوم : ((التقديم والتأخير في تفسير معارج التفكر ودقائق التدبر للشيخ الميداني)) .

توطئة : تعريف التقديم والتأخير :

إن الغوصَ في الدلالات المعجمية لمادة (قَدَمَ وأخَرَ) نجدُ أَنَّها تعطي معاني متعدِّدة ، منها ما ذَكره الزمخشري أنَ : " قَدَّم وأَقدَمَ بمعنى تقدّم ومنهُ مقدِّمةُ الجيش للجماعة المتقدِّمةِ والإقْدَام في الحرب "[١] .وأشار ابن منظور : المُقدِّم يُطلَق على الذي يُقدِّم الأشياء ، ويضعها في مواضعها على أساس الاستحقاق فمن استحقَّ التَّقْدِيم قدَّمَهُ ، ونقيضُ القِدَمِ الحدوثِ ، أما القُدْمَةُ في الغنم فهي التي تكون أمام الغنم في الرعي ، والقِدَم الشرف القديم[٢] أما في الاصطلاح فقد عرَّفه الطوفي البغدادي (ت : ٧١٦هـ) هو " جعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية أو بعدها ، لعارض أو أهمية أو ضرورة "[٣] . فالأصل أنْ تُرتَّبَ الألفاظ في الجمل بحسب ترتيبها الطبيعي ، أي أنْ يأتي المسند إليه أولاً ثم يأتي المسند ثم المتمِّمات للجملة ، كالجار والمجرور والحال ... الخ ، وترتيب الكلمات هو الذي يُعطي كلَّ جزئيةٍ أهميتَها في السياق[٤]

خصائص التقديم والتأخير في العربية :

إنَّ التَّقْدِيم والتَّأْخِير في الألفاظ إنَّما هو خدمةٌ للعربية وتعبيراتها ، ورفعٌ لأسَالِيب الكَلَام إلى أرقى منزلة ، وقد بلغَ القُرآن الكريم الذروةَ في وضع الألفاظ في المقام الذي تستحقه في الجملة بتناسق منتظم لفظاً ومعنى مراعياً سياقَ الكَلَام والاتساق العام في التَّعبِير ، فالتَّعبِير القُرآني وُضِعت فيه الألفاظ مراعاةً لمواضع ورود الألفاظ فيه . وكان ذلك من أسَالِيب العرب في كلامهم ، إذ إنَّ العرب يقدمون الأهم على المهم ؛ ليكون أكثر تأثيراً في النفوس ببلاغة تناسق اللفظ مع المعنى . وقد أشار سيبويه إلى الغرض من التَّقْدِيم من خلال عرضِهِ التراكيب النحوية بقاعدة عامة وهي أنَّهم يُقدِّمون ما يُعنَون به؛ لأهميته بقوله : " كأنَّهم إنَّما يقدّمون الذي بيانه أهمُّ لهم وهُمْ ببيانه أَعْنَى ، وإن كانا جميعاً يُهِمّانِهم ويَعْنِيانهم" [٥] ، ووصفه عبد القاهر الجرجاني بقوله : " هو باب كثير الفوائد ، جَمُّ المحاسن، واسع التصُّرف بعيدُ الغاية ، لا يزال يَفْتَرُّ لك عن بديعةٍ ، ويُفْضِي بك إلى لطيفة . ولا تزال ترى شِعْراً يروقك مَسْمَعُهُ، ويَلْطُف لديك موقعُهُ، ثم تنظر فتجد سببَ أنْ راقك ولطُف عندك ، أنَّ قُدّم فيه شيء، وحُوّل اللَّفظ عن مكانٍ إلى مكان "[٦] .فهذا يعني أنَّ : " خانة الصدارة لا تحملُ وظيفةً شكلية في تحديد نمط الجملة فقط , بل تُضافُ إليها وظيفةً دلالية تتمثلُ في تركيز الاهتمام والعناية على الركن الذي يَشغلُها "[٧] .نستشف من هذا أَنَّ نظامَ الجملة العربية يتسمُ بمرونة عالية في ترتيب الكلمات داخل النظام التركيبي , يقول الزجاجي : " وكذلك سائرُ المعاني جعلوا هذه الحركات دلائل عليها , ليتسعوا في كلامهم , ويُقدموا الفاعلَ إنْ أرادوا ذلك , أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمِهِ , وتكون الحركات دالةً على المعاني "[٨] .

والتقديم قسمان . وهما[٩] :

١- **التَّقْدِيم على نية التَّأْخِير** : وهو تقديم له رتبة معلومة في بناء الجملة ، كتقديم المعمول على العامل ومنه تقديم الخبر على المبتدأ، والمفعول على فعله وفاعله الخ ، إذ يتقدم فيه اللفظ على ما هو أحقُّ منه بالتَّقْدِيم من أجزاء الكَلَام .

٢- **التَّقْدِيم لا على نية التَّأْخِير** : ما قُدِّم والمعنى عليه ، وهو تقديم ما ليس برتبة : تقديم وتأخير في أصل النظم ، كتقديم كلمة على كلمة وغيرها لمعانٍ واعتبارات بلاغيَّة خاصة .وتزخر لغةُ القُرآن الكريم بأُسْلُوب التَّقْدِيم والتَّأْخِير، إذ إنَّ التَّعبِير القُرآني قد وُضِعت فيه الألفاظ بتناسق منتظم لفظاً ومعنى مراعى فيه مواضع ورود الألفاظ فهي تدلُّ " دلالة واضحة على أنَّ التَّعبِير القُرآني تعبير مقصود ، كلّ لفظ

فيه وُضِع وضعًا فنيًا مقصودًا ، وأنَّه لم يُقدِّم لفظةً على لفظةٍ إلَّا لغرض يقتضيه السياق . وقد رُوعي ذلك في التَّعبِير القُرآني كله ونظر إليه نظرة واحدة شاملة "[١٠] .

أولًا :- تقديم اسم على اسم :

١- ورد في قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[١١]. تقديم الضمير ﴿إِيَّاكَ﴾ على الفعل المضارع ﴿نَعْبُدُ﴾ , والأصل : (نعبدك) , لذا علل الميداني هذا التقديم بقوله : "﴿إِيَّاكَ﴾ ضميرٌ منفصلٌ منصوبٌ على أَنَّهُ مفعولٌ بهِ لفعل ﴿نَعْبُدُ﴾ متقدمٌ عليهِ لإفادة الحَصْر والتخصيص , بالدلالة على إفراد الله عزَّ وجل بالعبادة , والتبرُّؤِ من كُلِّ شركٍ فيها "[١٢] .

وقد ذهب المفسرون إلى أن تقديم المفعول ﴿إِيَّاكَ﴾ على الفعل ﴿نَعْبُدُ﴾ للاهتمام والاختصاص[١٣] .والعِلَّة عند النحاس (ت : ٣٣٨هـ) التأكيد[١٤] ، أما الثعالبي (ت : ٤٢٩هـ) ففي ذكره لعِلَّة التَّقْدِيم انطلق من قاعدة اعتاد عليها العرب وهي تقديم الأهم على المهم ؛ لذلك قال بعِلَّة الاعتناء والاهتمام بالمتقدم وهو المعبود جلَّ شأنه ، لئلا يتقدم ذكر العبد والعبادة على المعبود[١٥] .وعلل أبو حيان أن التقديم : " فالتقديمُ عندنا إنما هو للاعتناء والاهتمام بالمفعول ... وإياك التفاتٌ, لأنهُ انتقالٌ من الغيبةِ, إذ لو جرى على نَسَقٍ واحدٍ لكان (إياهُ) "[١٦].

وعلل أبو السعود هذا التقديم : " التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب , وتلوينٌ للنظم من بابٍ إلى بابٍ جارٍ على نهج البلاغة في افتنان الكلام , ومَسلك البراعة حسبما يقتضي المقام لما أَنَّ التنقلَ من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ أدخلُ في استجلاب النفوس واستمالة القلوب يقع من كلِ واحدٍ من التكلم والخطاب والغَيبة إلى كُلِّ واحدٍ من الآخرين"[١٧].وعلل القرطبي هذا التقديم بقوله : " إنْ قيل : لِمَ قدَّمَ المفعولَ على الفعل؟ قيلَ له: قُدِّمَ اهتمامًا , وشأنُ العربِ تقديمُ الأَهَمّ "[١٨]. وأشار الخطيب الشربيني أيضًا إلى القول : " فإنْ قيل : لِمَ عدَلَ عن لفظ الغيبة إلى الخِطاب؟ أُجيب : بأن عادةَ العرب التفنن في الكلام , والعدول من أسلوب إلى آخر تحسينًا للكلام , وتنشيطًا للسامع "[١٩] .وأما ابنُ الأثير فقد كان له رأيٌ يخالف فيه المفسرين , وذلك في قوله : " لم يُقدَّم المفعول على الفعل للاختصاص ، وإنَّما قُدِّم لمكان النظم ؛ لأنَّه لو قال : نعبدك ونستعينك ، لم يكن له من الحسن ما لقوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٢٠] ، ... وذلك لمراعاة حُسْن النظم السَّجعِيّ الذي هو على حرف النون ، ولو قال : نعبدك ونستعينك لذهبت تلك الطلاوة ، وزال ذلك الحُسن "[٢١] .

٢- ورد في قوله تعالى : ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾[٢٢]. فقد جاء تقديم المفعول به ﴿اللَّهَ﴾ على الفعل المضارع ﴿فَاعْبُدْ﴾ , علل الميداني هذا التقديم بقوله : " جاء في العبارة تقديم لفظ الجلالة ﴿اللَّهَ﴾ , وهو مفعولٌ به على العامل فيه , وهو فعل : ﴿فَاعْبُدْ﴾ لإفادة الحَصْرِ والتخصيص "[٢٣] .

علل البيضاوي سر هذا التقديم : " ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾ رَدٌّ لما أَمروهُ بهِ , ولولا دلالةُ التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك "[٢٤] .وذهب ابن عاشور أن التقديم يأتي هنا لإفادة القصر , قال : " وتقديمُ المعمولِ على ﴿فَاعْبُدْ﴾ لإفادة القصر "[٢٥] .

٣- ورد في قوله تعالى : ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[٢٦].

فقد علل الميداني تقديم ﴿الْمَوْتَ﴾ على ﴿وَالْحَيَاةَ﴾ بقوله : " وقُدِّمَ ﴿الْمَوْتَ﴾ على الحياة للإشعار بأَنَّ الموتَ تكون بعدهُ الحياة الأُخرى "[٢٧] .علل الزمخشري هذا التقديم : " وقدمَ الموتَ على الحياة , لأَنَّ أقوى الناس داعيًا إلى العمل مَنْ نَصبَ موتَهُ بين عينيهِ , فقدمَ , لأنهُ فيما يرجعُ إلى الغرض المسوق له الآية أَهمَّ , وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزُهُ مَنْ أساءَ العمل "[٢٨] .وقال ابن عطية : " وقدمَ ﴿الْمَوْتَ﴾ في اللفظ , لأَنَّهُ مُتقدمٌ في النفسِ هيبةً وغلظةً "[٢٩].وعلل الرازي أسرار التقديم بقوله : " إنما قدمَ ذِكرَ الموتِ على ذكرِ الحياة , مع أن الحياةَ مُقدمة على الموت لوجوهٍ ... يريدُ الموت في الدنيا , والحياةَ في الآخرة دار الحيوان ... أن أيامَ الموت هي أَيَّامُ الدنيا , وهي مُنقضيةٌ , وأما أيامُ الآخرة فهي أيامُ الحياة , وهي متأخرةٌ , فلما كانت أيامُ الموتِ متقدِمةً على أَيَّام الحياة , لا جرمَ قدمَ اللهُ ذكرَ الموت على ذكر الحياة "[٣٠] .وزاد ابن عاشور : " ونُقلَ الكلامُ من الغيبة إلى الخطاب على طريقة الالتفات , ونكتَتُهُ هنا أَنَّ المقصودَ التذكيرُ بالموت , وما بعدهُ على وجهِ التعريض بالتخويف , وإنَّما يناسِبُهُ الخِطاب "[٣١] .وأبان الرازي حقيقة التقديم للموت بقوله : " وتقديمُ ﴿الْمَوْتَ﴾ على تقدير : كونهُ عدمًا مطلقًا , أعني : عدم الحياة عما هي من شأنِهِ ظاهرٌ لسبقِهِ على الوجود , وعلى تقدير كونه العدم اللاحق , كما هو الأنسبُ بالإرادة هنا , أعني : عدم الحياة عما اتصف به فلانٌ , فيه مزيدُ عظةٍ وتذكرة وزجر عن ارتكاب المعاصي " [٣٢] .

٤- ورد في قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْيِۦَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴾[٣٣]. إذ قدم الله تعالى نبات الأرض على الأنعام , وقدم الأنعام على الإنسان , وقد علل الميداني هذه الترتيب بقوله : " ويلاحظ في البيان ذكر إحياء الأرض بالنبات قبل ذكر الأنعام , وذكر الأنعام قبل ذكر الأناسي , ولا يخفى ما في هذا من مراعاة للترتيب الطبيعي في الواقع , وفي الخلق ... يضاف إلى هذا أنَّ مرحلة تكوين إنبات النبات في الأرض كانت سابقةً لتكوين الأنعام , وأنَّ مرحلة تكوين الأنعام والأحياء الأُخرى كانت سابقة لتكوين الإنسان , فجاء البيان ملائمًا لهذا الواقع"[٣٤].

أشار الزركشي إلى هذا التقديم المرتب بقوله : " قدَّمَ إحياءَ الأرض , لأنهُ سببُ إحياء الأنعام والأناسيَّ , وقدَّمَ إحياءَ الأنعام , لأَنَّهُ مما يحيا بهِ الناسُ بأكلِ لحومِها , وشربِ ألبانِها , وكذا كلُّ علةٍ مع معلولها "[٣٥] .وعلل الزمخشري : " فإنْ قلتَ : لِمَ قدمَ إحياءَ الأرض , وسقي الأنعام على سقي الأناسي؟ قلت : لأنَّ حياة الأناسيَّ بحياة أرضِهم , وحياة أنعامِهم , فقدم ما هو سببُ حياتِهم وتعيشهم على سقيهم "[٣٦] .وعلل الرازي هذا الترتيب بقوله : " لِمَ قدمَ إحياءَ الأرض , وسقيَ الأنعام على سقي الأناسيّ , الجواب : لأنَّ حياةَ الأناسي بحياةِ أرضِهم , وحياة أَنعامِهم , فقدمَ ما هو سببُ حياتِهم , ومعيشتِهم على سقيهم "[٣٧] .

ثانياً :- **تقديم فعل على فعل** : ورد في قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾[٣٨]. إذ قدم الله تعالى الفعل ﴿ تُرِيحُونَ ﴾ على الفعل ﴿ تَسْرَحُونَ ﴾ , علل الميداني هذا التقديم : " ﴿ حِينَ تُرِيحُونَ ﴾ , أي : حين تردون أنعامَكم في العشيّ إلى مُراحِها , وهو المأوى الذي تأوى إليه الماشية في العشيّ للراحة , هذا هو إراحتُها , وقُدِمتْ على (سرحِها) ؛ لأنها في العشيّ تكونُ أَنضَرَ , ملئية البطون "[٣٩] .وقد علل الزركشي هذا التقديم : " لمَّا كان إسراحُها وهي خِماصٌ , وإراحتها وهي بطانٌ , قدَّمَ الإراحةَ ؛ لأَنَّ الجمالَ بها حينئذٍ أَفخَرُ "[٤٠] .وقال الزمخشري معللًا : " فإنْ قلتَ : لِمَ قدمتَ الإراحة على التسريح ؟ قلتَ : لأَن الجمالَ في الإراحة أظهر , إذا أقبلتْ ملأى البطون حافلة الضروع , ثم أوتْ إلى الحظائر حاضرة لأَهلها "[٤١] .وذهب الرازي إلى القول : " فَإِنْ قِيلَ : لِمَ قُدِّمَتِ الْإِرَاحَةُ عَلَى التَّسْرِيحِ ؟ قُلْنَا : لِأَنَّ الْجَمَالَ فِي الْإِرَاحَةِ أَكْثَرُ . لِأَنَّهَا تُقْبِلُ مَلْأَى الْبُطُونِ حَافِلَةَ الضُّرُوعِ ، ثُمَّ اجْتَمَعَتْ فِي الْحَظَائِرِ حَاضِرَةً لِأَهْلِهَا بِخِلَافِ التَّسْرِيحِ ، فَإِنَّهَا عِنْدَ خُرُوجِهَا إِلَى الْمَرْعَى تَخْرُجُ جَائِعَةً عَادِمَةَ اللَّبَنِ , ثُمَّ تَأْخُذُ فِي التَّفَرُّقِ وَالِانْتِشَارِ، فَظَهَرَ أَنَّ الْجَمَالَ فِي الْإِرَاحَةِ أَكْثَرُ مِنْهُ فِي التَّسْرِيحِ "[٤٢] .

ثالثاً :- **تقديم المفعول به على الفعل** :ورد في قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾[٤٣]. إذ تقدم المفعول به ﴿ ءَالِهَةً ﴾ على الفعل ﴿ تُرِيدُونَ ﴾ , وقد علل الميداني هذا التقديم : "فالمعنى : أتتخذون أصنامًا , وتجعلونها آلهةً تُعبدُ إفكًا وكذِبًا على الله ... وأصلُ العبارة ... : أتريدون جلبَ نفعٍ , أو دفعَ ضَرٍّ , بعبادة أصنامٍ من دون الله , تتخذونها آلهةً إفكًا وكذِبًا "[٤٤] .وقد علل الزمخشري تقديم المفعول به على الفعل بقوله : " ﴿ أَئِفْكًا ﴾ مفعول له, تقديرُهُ : أتريدون آلهةً من دون اللهِ إفكًا , وإنما قدَّمَ المفعول على الفعل للعناية , وقدم المفعول له على المفعول به ؛ لأَنَّهُ كان الأهمَّ عندهُ أن يكافحهم بأنهم على إفك وباطل"[٤٥] .وذهب ابن عاشور إلى القول : " فَانْتَصَبَ آلِهَةً عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ وَقَدَّمَ الْمَفْعُولَ عَلَى الْفِعْلِ لِلِاهْتِمَامِ بِهِ ؛ لِأَنَّ فِيهِ دَلِيلًا عَلَى جِهَةِ تَجَاوُزِ مَعْنَى الْفِعْلِ لِلْمَفْعُولِ "[٤٦] .وأوضح البيضاوي : " ﴿ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾ ، أي : تريدون آلهة دون الله إفكاً مقدم المفعول للعناية ثم المفعول له ؛ لأنَّ الأهم أن يقرر أنَّهم على الباطل ومبنى أمرهم على الافك ، ويجوز أن يكون إِفْكاً مفعولاً به وآلِهَةً بدل منه على أنها إفك في نفسها للمبالغة ، أو المراد بها عبادتها بحذف المضاف , أو حالاً بمعنى إفكين "[٤٧] .

رابعاً :- **تقديم المفعول به الثاني على المفعول به الأول** : ورد في قوله تعالى : ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾[٤٨] , إذ تقدم المفعول به الثاني ﴿ هَوَىٰهُ ﴾ على المفعول به الأول ﴿ إِلَٰهَهُۥ ﴾ , وقد علل الميداني هذا التقديم بقوله : " ﴿ ٱتَّخَذَ ﴾ : بمعنى (جعل) ينصبُ مفعولين , والمفعولان هنا أصلها مبتدأ وخبر ... (معبودَهُ هَواهُ) , وكلٌّ منهما معرفة صالح ؛ لأن يكون هو المبتدأ , أما أَيُّهما أحقُّ بأن يكون هو المبتدأ , فهذا يرجع إلى تحديد الأكثر منهما معرفةً بالنسبة إلى المتحدث عنه , فإن كان الأكثرُ معرفة هو المعبود كان هو الأحقَّ بالابتداء به , وكان هو الأحقُّ بالتقديم , وإن كان الأكثرُ معرفةً هو ﴿ هَوَىٰهُ ﴾ كان هو المبتدأ, وكان هو الأحقُّ بالتقديم , فإذا نظرنا إلى المشترك وجدنا (معبوده) =﴿ إِلَٰهَهُۥ ﴾ هو الأكثر معرفة , ووجدنا ﴿ هَوَىٰهُ ﴾ الأمرَ الخفيَّ هو المطلوب التعرف عليه بأنه المعبود . وعلى هذا فالتعبير قد جاء موافقًا تمامً للترتيب المنطقي الذي يُقرِرُهُ علماء المعاني حينما يكون المبتدأ والخبرُ معرفتين

, فلا داعي أصلًا لما ذكرَهُ بعض المفسرين من القلب في اللفظ , على اعتبار أَنَّ أصلَ الكلام : اتخذ هواهُ إلهه , ولا لما جاء على هذا الرأي من تعقيبات , فالتعبيرُ القرآني هو الذي ينبغي أن يكون عليه البيان "[٤٩].وهذا ما قال به ابن عادل : " ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ مفعولا الاتخاذ من غير تقديم ولا تأخير، لاستوائهما في التعريف "[٥٠] .

خامساً :- **تقديم الجار والمجرور على الاسم** : ورد في قوله تعالى : ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[٥١] , إذ تقدم الجار والمجرور ﴿مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ على الفاعل ﴿رَجُلٌ﴾, وقد علل الميداني هذا التقديم للجار والمجرور بقوله : " ودلَّ تقديم عبارة ﴿مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ على فاعل ﴿وَجَآءَ﴾ , وهو ﴿رَجُلٌ﴾ على أَنَّ حضورَهُ من أقصى المدينة قد كان سعيًا جهاديًّا عن حماسةٍ وتصميمٍ وتضحية بالنفس ... فمن دواعي تقديم ما حقَّهُ التأخير في الجملة العربية التَّنبيهُ على أَمرٍ ذي أهمية , يشتملُ عليهِ العنصُرُ الذي قُدِّمَ من عناصر الجملة عن موقعهِ الذي هو له في الجملة "[٥٢] .وعلل ابن عاشور هذا التقديم للجار والمجرور : " لِأَنَّ قَلْبَ الْمَدِينَةِ هُوَ مَسْكَنُ حُكَّامِهَا وَأَحْبَارِ الْيَهُودِ وَهُمْ أَبْعَدُ عَنِ الإِنْصَافِ وَالنَّظَرِ فِي صِحَّةِ مَا يَدعُوهُم إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَعَامَّةُ سُكَّانِهَا تَبَعٌ لِعُظَمَائِهَا لِتَعَلُّقِهِمْ بِهِمْ , وَخَشْيَتِهِمْ بَأْسَهُمْ بِخِلَافِ سُكَّانِ أَطْرَافِ الْمَدِينَةِ, فَهُمْ أَقْرَبُ إِلَى الِاسْتِقْلَالِ بِالنَّظَرِ, وَقِلَّةِ اكْتِرَاثٍ بِالْآخَرِينَ ؛ لِأَن سكان الْأَطْرَاف غَالِبُهُمْ عَمَلَةُ أَنْفُسِهِمْ لِقُرْبِهِمْ مِنَ الْبَدْوِ . وَبِهَذَا يَظْهَرُ وَجْهُ تَقْدِيمِ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ عَلَى رَجُلٌ لِلِاهْتِمَامِ بِالثَّنَاءِ"[٥٣] .وعلل الخطيب الإسكافي هذا التقديم : " للسائل أن يسألَ عن تقديم قوله ﴿مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ على ﴿رَجُلٌ﴾ الذي هو الفاعلُ ... , والجواب أن يقال : إن الفاعلَ ... لما كان نكرة , فالمعنى : جاءَ جاءَ , وقد دلَّ الفاعلُ على جاء , ولا يكون الجائي من أقصى المدينة في الأعم الأغلب إلا رجلًا "[٥٤] .

ثبت المصادر والمراجع :

القرآن الكريم :

❖ **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** ، أبو السعود محمّد بن محمّد العمادي (ت٩٨٢هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت _

❖ **أساس البلاغة** ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، تحقيق : محمّد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط١ ، ١٤١٩هـ_١٩٩٨م .الأسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي العربي : ٥٣٥ .

❖ **الأكسير في علم التفسير** ، الطوفي سليمان بن عبد القوى بن عبد الكريم الصرصري البغدادي (ت٧١٦هـ)، تحقيق : د. عبد القادر حسين ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، (د.ط) (د.ت) .

❖ أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.الإيضاح في علل النحو : ٦٩ – ٧٠ .

❖ **البحر المحيط** ، محمّد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود و علي محمّد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط١ ، ١٤١٣هـ_١٩٩٣م .البرهان في علوم القرآن : ٢٤٧/٣ – ٢٤٨ .

❖ **البلاغة والأسلوبية** ، د. محمّد عبد المطلب، مكتبة ناشرون ، بيروت – لبنان، ط ١، ١٩٩٤م.

❖ **علم المعاني في البلاغة العربية** ، د. عبد العزيز العتيق ، دار النهضة العربية ، بيروت _ لبنان ، ط١ ، ١٤٣٠هـ_ ٢٠٠٩م.

❖ **التحرير والتنوير** ، محمّد الطاهر ابن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤م .

❖ **التعبير القرآني** ، د. فاضل صالح السامرائي ، دار عمار ، عمان ، ط٤ ، ١٤٢٧هـ_٢٠٠٦م .

❖ تفسير الثعالبي- الجواهر الحسان في تفسير القرآن: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م

❖ التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): فخر الدين أبو عبد الله محمّد بن عمر الرازي (ت:٦٠٦هـ)، المطبعة البهية، القاهرة- مصر، ط١،

❖ الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، دار الكتب المصرية- دار الكتاب العربي، القاهرة- مصر، ط٣، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

❖ **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**، د. عبد العظيم إبراهيم المطعني ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط١، ١٤١٣هـ_١٩٩٢م .

❖ **درة التنزيل وغرّة التأويل**، أبو عبد الله محمّد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: د- محمّد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة – السعودية، ط١ ، ١٤٢٢هـ _ ٢٠٠١م .

❖ دلائل الإعجاز في علم المعاني: عبد القاهر الجرجاني، صححه وعلق عليه، محمد عبده ومحمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨.

❖ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبو الثناء الآلوسي(ت:١٢٧٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

❖ السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت ٩٧٧هـ) ، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة , ١٢٨٥هـ.

❖ الكتاب: أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر، الملقب سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، دار القلم، القاهرة، ط١، ١٣٨٥هـ-١٩٦٦م.

❖ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: جار الله محمود بن عمر الزمخشري، مكتبة التجارية الكبرى، مطبعة مصطفى محمد، مصر، ط١، ١٣٥٤هـ.

❖ اللباب في علوم الكتاب ، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ) ، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية – بيروت ، لبنان ، ط ١، ١٩٩٨م.لسان العرب ، مادة (قدم) :

❖ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت: ٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د. ت).

❖ **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، القاضي أبي محمّد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ) ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمّد ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢هـ_٢٠٠١م .

❖ معارج التفكر ودقائق التدبر ، عبد الرحمن حبنكة الميدان ، دار القلم ، دمشق ، ط ١ (ج ١ – ٢ – ٣) (٢٠٠٠م) ، (ج ٤– ٥ – ٦) (٢٠٠٠م) ، و(ج ٧ – ٨ – ٩) (٢٠٠٢م) ، (ج ١٠ –١١ –١٢ –) (٢٠٠٤م) (ج ١٣ – ١٤ – ١٥ –) (٢٠٠٦ م)

❖ معاني القران ، **أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت ٣٣٨هـ)** ، تحقيق : **محمد علي الصابوني ، جامعة أم القرى – مكة المرمة ،**

هوامش البحث

---

(١) أساس البلاغة : ٥٨/٢ .

(٢) ينظر : لسان العرب ، مادة (قدم) : ٥٥٢/٣ .

(٣) الإكسير في علم التفسير : ١٨٩ .

(٤) ينظر : البلاغة والأُسْلُوبية : ٣٠٥ ، وعلم المعاني في البلاغة العربية : ١٣٦ .

(٥) الكتاب : ٣٤/١ .

(٦) دلائل الإعجاز : ١٤٣ .

(٧) الأسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي العربي : ٥٣٥ .

(٨) الإيضاح في علل النحو : ٦٩ – ٧٠ .

(٩) ينظر : دلائل الإعجاز : ١٤٣ ، وخصائص التَّعبِير القُرآني وسماته البلاغية : ٨٠/٢ .

(١٠) التَّعبِير القُرآني : ٧٤ .

(١١) الفاتحة : ٥ .

(١٢) معارج التفكر ودقائق التدبر : ٢٩٨/١ .

(١٣) ينظر : الكشاف : ٣/١ , والمحرر الوجيز : ٧٢/١ .

(١٤) معاني القُرآن للنحاس : ٦٤/١ .

(١٥) ينظر : تفسير الثعالبي : ١٦٥/١ ، والجامع لأحكام القُرآن : ٢٢٤ .

(١٦) البحر المحيط : ٤٢/١ , وينظر : اللباب في علوم الكتاب : ١٩٨/١ .

(١٧) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ١٦/١ .

(١٨) الجامع لأحكام القرآن : ١٤٥/١ .

(١٩) السراج المنير : ١٠/١ .

[٢٠]() الفاتحة : ٥ .

[٢١]() المثل السائر : ٣٩/٢ .

[٢٢]() الزمر : ٦٦ .

[٢٣]() معارج التفكر ودقائق التدبر : ٢٦٨/١٢ .

[٢٤]() أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٤٨/٥ .

[٢٥]() التحرير والتنوير : ٦٠/٢٤ .

[٢٦]() الملك : ٢ .

[٢٧]() معارج التفكر ودقائق التدبر : ٦١٥/١٤ .

[٢٨]() الكشاف : ٥٧٦/٤ , وينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ٥١١/٣ .

[٢٩]() المحرر الوجيز : ٣٣٨/٥ , وينظر : البحر المحيط : ٢٢٠/١٠ .

[٣٠]() التفسير الكبير : ٥٧٩/٣٠ .

[٣١]() التحرير والتنوير : ٢٦/١٨ .

[٣٢]() روح المعاني : ٦/١٥ .

[٣٣]() الفرقان : ٤٨ – ٤٩ .

[٣٤]() معارج التفكر ودقائق التدبر : ٥٤٤/٦ .

[٣٥]() البرهان في علوم القرآن : ٢٤٧/٣ – ٢٤٨ .

[٣٦]() الكشاف : ٢٨٥/٣ .

[٣٧]() التفسير الكبير : ٤٦٧/٢٤ .

[٣٨]() النحل : ٦ .

[٣٩]() معارج التفكر ودقائق التدبر : ٥٢١/١٣ .

[٤٠]() البرهان في علوم القرآن : ٢٦٢/٣ .

[٤١]() الكشاف : ٥٩٤/٢ .

[٤٢]() التفسير الكبير : ١٧٦/١٩ , وينظر : اللباب في علوم الكتاب : ١٣/١٢ , والسراج المنير : ٢١٧/٢ , وأنوار التنزيل وأسرار التأويل : ٢٢٠/٣ .

[٤٣]() الصافات : ٨٥ – ٨٦ .

[٤٤]() معارج التفكر ودقائق التدبر : ٦٠٠/١١ .

[٤٥]() الكشاف : ٤٩/٤ , وينظر : البحر المحيط : ١١٠/٩ , وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : ١٩٧/٧ .

[٤٦]() التحرير والتنوير : ١٣٩/٢٣ .

[٤٧]() أنوار التنزيل وأسرار التأويل : ١٣/٥ .

[٤٨]() الفرقان : ٤٣ .

[٤٩]() معارج التفكر ودقائق التدبر : ٥١١/٦ – ٥١٢ .

[٥٠]() اللباب في علوم الكتاب : ٥٣٩/١٤ .

[٥١]() يس : ٢٠ .

[٥٢]() معارج التفكر ودقائق التدبر : ٨٠/٦ – ٨١ .

[٥٣]() التحرير والتنوير : ٣٦٥/٢٢ .

[٥٤]() درة التنزيل وغرة التأويل : ١٠٨٣/١ .